سلسلة المحاضرات الرمضانية (لعلكم تتقون)

ألقاها السيد القائد عبد الملك بدر الدين الحوثي "يحفظه الله"

المحاضرة الرمضانية التاسعة: الجمعة ١٤ رمضان ١٤٣٨هـ ٩ يونيو ٢٠١٧م

الرقابـــــة الإلـهيـــــة

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ المُبين، وَأشهَدُ أنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبدُهُ ورَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، وَبارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وارضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ المُنتَجَبين، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ.

أَيُّهَـــا الإِخْـــوَةُ وَالأَخَـــوَات: السَّـــلَامُ عَلَـيْكُمْ وَرَحْـمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَام، وَالقِيَام، وَصَالِحَ الأَعْمَال، إِنَّهُ سَمِيعَ الدُّعَاء.

قبل أن ندخل في موضوعنا، فإننا:

أولاً: نستنكر ونشجب الاعتداءات الإجرامية التي استهدفت الشعب العراقي المسلم الشقيق في كربلاء وبغداد، ونتوجه بالعزاء والمواساة لأسر الشهداء، ونسأل الله الشفاء للجرحى، والنصر لشعوبنا المظلومة في التصدي لقوى الشر، التي تحركها أيادي العمالة في المنطقة، بإيعاز وتوجيه وحماية أمريكية وإسرائيلية، ونرى في كل جريمة جديدة، ومشهد دموي مستجد، شاهداً على حقيقة قوى الشر الدولية والإقليمية، وفضيحة لها، ودليلاً على سوئها، وسوء أهدافها، وخطورة أجندتها ومؤامراتها، وعامل استنهاض لشعوبنا التي تحتم عليها

المسؤولية أمام الله وتجاه نفسها أن لا تألوا جهداً في الدفاع عن نفسها، وفي التحرك الجاد الواعي لمواجهة التحديات والتحمل للمسؤولية بالاستعانة بالله تعالى، وهو خير الناصرين.

مدخـــل

موضوعنا اليوم، له علاقة مهمة بمسألة التقوى، وتحقيق التقوى. نحن، أيها الأخوة والأخوات، نحن في هذه الحياة، في واقعنا العملي، وفي واقع حياتنا وتعاطينا مع كل المستجدات من حولنا، الإنسان يتحرك في واقعه العملي على أساس ثلاثة اعتبارات مهمة ومؤثرة في كل أعماله وتصرفاته وسلوكياته:

- **أولها: الدافع:**

الإنسان- دائماً- حينما يعمل عملاً، أو يقول قولاً، أو يتحرك تحركاً، أو يتصرف تصرفاً، سبق ذلك دافع في نفسه، هذا الدافع قد يكون دافعاً غريزياً (بالغريزة)، قد يكون دافعاً إنسانياً (بضميره الإنساني، وفطرته الإنسانية)، قد يكون دافعاً **كذلك** إيمانياً (منطلقاً من حالة إيمانية)، بغض النظر عن صحة هذا التصرف من عدمها، لكن كدافع، هذه قد تكون أبرز الدوافع: [الدوافع الغريزية، الدوافع الإيمانية، الدوافع الإنسانية].

- **العامل الثاني: هو عامل أيضاً مهم وكبير وأساسي بالنسبة للإنسان ولازم: هو القدرة:**

إذا امتلك الإنسان القدرة مع الدافع، القدرة على تصرف معين، أو على فعل وعمل معين؛ فيفعل، وإلا قد يكون لدى للإنسان دافع لأعمال كثيرة أو تصرفات، ولكنه لا يمتلك القدرة المباشرة أو القدرة اللازمة، التي هي: عبارة عن إمكانات معينة، أو ما شاكل ذلك، والقدرة هي أمر لازم للفعل وللتصرف.

- **العامل الثالث: الذي يحسبه الإنسان، ويؤثر في تصرفاته وأعماله وسلوكياته: النتائج:**

الإنسان يحسب حساب النتائج المترتبة على [فعل معين، أو تصرف معين، أو كلام معين]، وهذه النتائج في حسابات الإنسان، قد يلحظ فيها الجانب الإيجابي فيما يتحقق له من وراء هذا التصرف أو هذا المسعى أو هذا الكلام، وفيما يرضي (أو يلبي) من خلاله رغبة نفسية، أو نتائج تتحقق له ومطالب ورغبات، أو يحسب حساب الجانب السلبي للتصرف أو للفعل أو للكلام و...الخ.

هذه النتيجة السلبية والسيئة، التي هي انعكاس لعمله أو لكلامه قد يحسب حسابها في أن لا يفعل، أو في أن يفعل، أو في أن يفعل ويلحظ اعتبارات معينة واحتياطات معينة، ولكن الإنسان يحسب حساب النتائج، قد تكون هذه النتائج السلبية التي حسب حسابها: ما يمس به في واقعه الاعتباري والمعنوي بما يمس بشخصيته، باحترامه، بكرامته، بعرضه، بشرفه، بأهميته، بقيمته المعنوية... أو ما يمس به في حياته، أو في شأنه المادي [في نفسه أو في ممتلكاته، أو غير ذلك...].

فالإنسان بهذه الثلاثة الاعتبارات: [الدافع، **وكذلك** القدرة، **وكذلك** النتائج] يتحرك، ولهذه العوامل الثلاثة تأثير مؤكد على تصرفاته وعلى أعماله، ونحن في واقع هذه الحياة نتفاوت في مدى تعاملنا المسؤول، وتصرفنا الواعي، وانضباطنا، **يعني** يكون الإنسان في واقعه العملي، في كلامه، في تصرفاته، في أعماله واعياً ومسؤولاً، ويتعامل بحساب صحيح للأمور، وباعتبارات... نتفاوت، **يعني** الدافع في مستواه وفي طبيعته له علاقة بهذا، القدرة لها علاقة، حتى القدرة على الانضباط والتعاطي بمسؤولية، وحساباتنا للنتائج تختلف من شخص إلى آخر ومن هنا إلى هناك؛ فينتج عن ذلك التفاوت في الواقع العملي والسلوكي بين إنسان على درجة عالية من المسؤولية في كلامه، في تصرفاته، في أعماله... وبين إنسان على درجة لا بأس بها من المسؤولية في تصرفاته، وفي أعماله... وبين إنسان منفلت إلى حدٍ ما، وغير منضبط، ومستهتر في كلامه، في مسؤولياته، وهكذا... الثلاثة العوامل نفسها، مثلاً **الدافع النفسي:** له أيضاً ارتباط كبير بما يحكمك كإنسان في مشاعرك، في وعيك، في قيمك، في أخلاقك، في اهتمامات في هذه الحياة... **وكذلك** حساباتك للنتائج لها **أيضاً** ارتباط بمدى وعيك، مدى فهمك، مدى اهتماماتك، مدى إدراكك، مستوى أخلاقك، الرصيد الذي تمتلكه في

نفسك: الرصيد الإنساني، الرصيد المعرفي، الرصيد القيمي والأخلاقي... لها تأثير كبير **جدًّا** في الاعتبارات والعوامل الثلاثة المؤثرة.

استشعار الرقابة الإلهية ودورها في الاستقامة

هناك موضوع في غاية الأهمية، يؤثر في كل هذه الاعتبارات بكلها، ويساعد إلى حد كبير **جدًّا** على استقامة الإنسان وتحركه المسؤول في هذه الحياة وتحركه الواعي في هذه الحياة بما يترتب على ذلك من نتائج إيجابية ومهمة لهذا الإنسان، وبالذات نحن كمسلمين، أنت كإنسان مسلم، هذه المسألة في غاية الأهمية، لها أهميتها القصوى في الاستقامة، في ما تأمله كإنسان مسلم من أن تتوفق لتقوى الله "سُبْحَـانَهُ وَتَعَالَى" ولمرضاة الله "سُبْحَـانَهُ وَتَعَالَى" للفوز بما وعد "سُبْحَـانَهُ وَتَعَالَى" وللوصول إلى ما وعد به "سُبْحَـانَهُ وَتَعَالَى" وللنجاة من عذابه، وسخطه، وانتقامه في الدنيا والآخرة.

الموضوع هذا هو: **موضوع الرقابة الإلهية، ومدى الاستشعار للرقابة الإلهية**: هذا موضوع في غاية الأهمية، أعطاه القرآن الكريم مساحة واسعة، وتحدث عنه بحديث مؤثر ومتنوع، ويرتبط به في تدبير الله "سُبْحَـانَهُ وَتَعَالَى" مع هذا الإنسان، وفيما خلق عليه هذا الإنسان، وفيما رتب عليه شئون هذا الإنسان في الدنيا والآخرة، يرتبط به تدابير مهمة وإجراءات مهمة من جانب الله "سُبْحَـانَهُ وَتَعَالَى" من أهم ما **يجب** أن تعيه كإنسان: أنك في هذه الحياة لست وحدك، ولا يجوز لك ولا ينبغي لك أبداً أن تنطلق في ميدان الحياة، وفي واقع الحياة غافلاً عن أهم مسألة، عن مصدر وجودك من أين؟ وعن معادك إلى أين؟ وكأنك وجدت هكذا فلتة في هذه الحياة فلم تشعر إلا وأنت موجود في هذا الكون وفي هذا العالم، ثم صرت تتعاطى باعتبارات وحسابات هي في حدود ما أمامك في هذه الحياة وما تلامسه في هذه الحياة، وهذا للبعض، **مثلاً**: البعض منا سيحسب حساب واقعه ومحيطه الذي ينعكس عليه في هذه الحياة ويرتبط به في هذه الحياة، إذا هو **مثلاً** شخصية اعتبارية ومهمة، وذو طموح، ويحرص على قيمته المعنوية؛ فسيكون له انتباه في جميع تصرفاته لكن في حدود أن لا تظهر أمام الآخرين، أن لا يرى الآخرون منه ما يمس بقيمته المعنوية، لماذا؟ **لأنه**: إما شخصية سياسية، أو وجاهة اجتماعية، أو إنسان حساس على قيمته المعنوية: **يعني** إنسان يحرص

على أن يكون طيب السمعة ومقبولاً لدى الرأي العام ومحترما لدى الآخرين، هناك الكثير **جدًّا** من البشر، وهذه فطرة: **يعني** هذا في أصله أمر طبيعي **جدًّا؛ لأنه** فطرة فطر الله الإنسان عليها، وإذا وجه الإنسان هذه الفطرة توجيهاً صحيحاً يستفيد منها بشكل كبير، إذا أدخلها ضمن حسابات أكثر صحة وسلامة من الحسابات غير الدقيقة أو الحسابات المحدودة.

البعض من الناس قد يكون انضباطه في هذه الحياة، والتزامه في هذه الحياة، وتعاطيه المسؤول في هذه الحياة في حدود المخاوف النفسية، والمخاوف الأمنية، و... **يعني** (عبد عصا) بعض من الناس عبد عصا، سينضبط بقدر ما يخاف الأشياء التي يتوقع أن يطاله سوط عليها، عقوبات عليها قد تسبب له أن يسجن، أو يقتل، أو يعاقب بأي عقاب معين، أو يطاله بسببها إجراءات ومضايقات في هذه الحياة ومعاناة في هذه الحياة، أو يخسر بسببها من ممتلكاته، فيمثل هذا زاجراً له وعاملاً يدفعه إلى أن ينضبط بالقدر الذي لا يعرضه لهذه الإجراءات من الجهات التي يحسب أنه قد يطاله ذلك منها، دولة **مثلاً** (هو في بلد، في دولة) أو جهات معينة لها سطوة، لها نفوذ، لها حضور يمكن أن تطاله بشيء؛ فيبقى في حدود ما يخاف وفي حدود وما يتوقع منضبطاً وملتزماً، الأشياء التي قد يتوقع أن لا تدركها تلك الجهات أو لا تطلع عليها، لن يبالي سيتصرف وبدون أي حرج طالما أنه إما لا يخاف من تلك الجهات شيئاً نتيجة لأعماله وإما أنها قد لا تدرك ولا تعرف بما فعل وتصرف، فتتفاوت حالة الالتزام لدى الناس في هذه الحياة.

أنت مميز في الخلق.. إذاً أنت مسؤول

أنت كإنسان مسلم، يربيك القرآن الكريم ويعلمك الله **"سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"** أن تنطلق من منطلقات أكبر وأكثر أهمية وأكثر واقعية ولها تأثير عليك وتأثير كبير **جدًّا** عليك، أنت لست في هذه الحياة لوحدك، ولست حتى ملك نفسك (اعرف هذه)، الذي أتى بك إلى هذا الوجود، الذي خلقك وفطرك وأتى بك لهدف، وجودك في هذه الحياة هو وجود هادف، له هدف، له غاية، وله اعتبار هو الله **"سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"** أنت عبد لله، أنت مِلْك لله **"سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"** وهو عندما خلقك وفطرك وأوجدك ووهبك الحياة ووهبك ما وهبك وما زودك به من إمكانات وقدرات ذاتية [كالسمع، والبصر، والفؤاد، والقدرة الجسمية، والبدنية، والذهنية، والمعنوية،

والطاقة]، والقدرة على الفعل في حدود ما منحك وأعطاك، وفي حدود ما هيأ وسخر لك ككائن في هذا العالم، كإنسان، ما سخر لك في السموات والأرض من نِعم، وخيرات، وعطايا، ومواهب، وقدرات، وإمكانات متنوعة تلبي جوانب كثيرة من حياتك، وتغطي كل احتياجاتك الإنسانية، ثم تستفيد منها، وتتقلب فيها، وتنتفع بها بأشكال كثيرة **جدًّا جدًّا** من أشكال الانتفاع وجوانب الانتفاع... الله **"سُبْحَـانَهُ وَتَعَالَى"** هو رقيب عليك، هو حاضر، هو شاهد عليك في هذا العالم وفي هذا الوجود، ليست المسألة أنه خلقك وفطرك ككائن متميز في هذا الوجود بين مختلف المخلوقات والأصناف والدواب، ثم أعطاك أنت ميزة فيما بينها: أن حملك المسئولية الكبرى في هذا العالم، أن سخر لك السموات والأرض وما في السموات وما في الأرض، أن أعطاك من القدرة الذهنية، والبدنية، والإمكانات، والقدرات الإبداعية ما يخوّلك القدرة على التصرف في كثير مما خلق في هذا العالم، ثم يتركك في ميدان هذه الحياة لتتصرف كما يحلو لك، وأنت المخلوق الذي لتصرفاته تأثيرات ونتائج وانعكاسات شاملة على مستوى ما في البر والبحر، الله "جَلَّ شَأْنُهُ" قال في كتابه الكريم: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**﴾ [الروم الآية: ٤١] أيدي الناس؛ فليست المسالة أن الله سيتركك في هذه الحياة تتصرف كما يحلو لك، وتعمل ما ترغب به، ولا تبالي بأي شيء، وتعمل ما تشاء وتريد...|الا|.

لاحظ مسألتك- كإنسان- حساسة جدًّا في إطار التدبير الإلهي وملك الله **"سُبْحَـانَهُ وَتَعَالَى" يعني** لو أن الله فعل ذلك: يخلقك كإنسان، أعطاك ميزة في هذا العالم وهبات عجيبة **جدًّا**، وقدرات على التصرف في محيطك العالمي [فيما في السموات وما في الأرض، وفيما بين السماء والأرض]، ومنحك قدرة واسعة، وإمكانات عجيبة، وتسخيرًا واسعًا ﴿**سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾ [لقمان الآية: ٢٠] هذا التسخير كله، هذه الرعاية الواسعة **جدًّا جدًّا**، هذا التمكين العجيب لك كإنسان، هذه السعة العجيبة في حياتك وفي شئون حياتك وفي

مجالات حياتك، ثم لا يكون من ورائها شيء هادف، ولا ترتبط بها مسئولية، ولا يرتبط بها ضوابط، ولا إجراءات، ولا حساب، ولا جزاء... لكانت هذه المسألة تمس بالله: تمس به في حكمته، لاعتبر غير حكيم، كيف يخلق هذا العالم العجيب الكبير بكل ما فيه من أصناف لا تحصى ولا تعد، ويقدم هذا العالم بكل ما فيه، مسخراً ونافعاً ومفيداً لهذا الكائن (الإنسان)، أنت مستفيد من كل ما في هذا العالم، ما في الأرض وهو أصناف كثيرة **جدًّا**، أصناف عجيبة **جدًّا**، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [النحل الآية: ١٨] لهذه الدرجة، لا تقدر أنت كإنسان، الله

وحده فقط من يحصي ومن يقدر أن يعلم بعديد كل ما يمكن أن تنتفع به وأن تستفيد منه، أما أنت كإنسان فأنت لا تحيط ولا تحصي مقدار هبات الله لك، وعطايا الله لك، مقدرا كل الأشياء التي فيها منفعة لك في هذا الوجود وفي هذا العالم، حتى أن هناك أشياء كثيرة خفية عنك، أنت تستفيد منها وتنتفع بها في الوقت الذي لا تدري ولا تعرف ولا تدرك... ويوماً إثر يوم يكتشف البشر بما خولهم الله من قدرات وطاقات واكتشافات علمية، يكتشفون أشياء كثيرة في هذا العالم ينتفعون بها، وأحياناً يكتشفون مقدار المنفعة في نعمة معينة، حتى على مستوى غذائنا: نأكل رغيف الخبز، ندرك كمعلومة أولية أن هذا يلبي احتياجاتنا الجسدية، يوفر لنا طاقة جسمية وقدرات جسمية ويسد الجوع عندنا كحاجة غريزية... لكن يأتي هذا العلم الحديث ليكتشف كم أودع الله في حبة القمح من عناصر غذائية، من عجائب، من منافع لجسمك.. ثم يأتي علماء التغذية ويأتي الخبراء وبعد دراسات واكتشافات ليقدموا لك قائمة طويلة عريضة من هذه المنافع.

فإذًا فيما أودع لنا الله في هذا العالم من منافع عجيبة، ومن قدرات، وإمكانات، وعطايا، ومواهب، ومنافع... أمور لا نقدر على إحصائها؛ هل يمكن أن يكون ذلك عبثاً، لا لشيء؟! لكي تتصرف كما يحلو لك!! لكي تتحرك في هذه الحياة بدون أي مسؤولية! |الا|.. لو كان الأمر **كذلك** لكانت المسألة تمس بحكمة الله؛ ولهذا يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ

إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون الآية: ١١٥-١١٦] تعالى الله الملك الحق، لا يليق

به أن يخلقك ثم يميزك في خلقك، ميزك في خلقك كإنسان، وهو القائل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين الآية: ٤] أحسن تقويم، وأحسن خلقة، وأحسن تركيب: هي خلقة الإنسان، خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم جعله متميزاً عن سائر المخلوقات في سعة مجالات حياته، سعة شؤون حياته، ثم في البيان والإعراب والقدرة على النطق والحديث والتعبير والسعة في ذلك لتتسع مع اتساع حياته وشؤون حياته والمنافع له في هذا الكون، هذه الأرض بكل ما فيها والسماوات بما سخر فيها لهذا الإنسان، وما أودع في هذا العالم ينتفع به الإنسان مما قد أدرك ومما لم يدرك.. مما قد لمسه ومما لم يلاحظه ولم يدركه ولم يصل إليه علمه بعد، ليس عبثاً. الله حاضر على هذا الخلق وهذا الكون وهذا العالم وهذا الإنسان وهو قد حملك مسؤولية كبيرة...

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾ [الأحزاب الآية: ٧٢] مسؤولية كبيرة بهذا القدر من المستوى.. الله خولك ومكنك لأن تكون مسؤولاً في هذه الحياة بما ليست السماوات مسؤولة عنه ولا الجبال مسؤولة عنه ولا الأرض مسؤولة عنه. أي جبل، قد تذهب- أنت كشخص- إلى جبل معين فكيف تكون أنت عند هذا الجبل؟ جزءًا صغيراً، أو كائناً بسيطاً في أسفل هذا الجبل أو في أعلاه أو وأنت تصعد فيه، قد لا تساوي في وزنك صخرة واحدة من صخور هذا الجبل، أما على مستوى الأرض بكلها، والجبال بكلها، والسماوات بكلها فكيف؟! ولكن الله منحك من المدارك، من الهبات، من القدرة: النفسية، الذهنية، المعرفية، من الوسائل ما تكون به أقدر على المسؤولية، وما تكون به مسؤوليتك أكبر من الجبال بكلها، من الأرض بكلها في بحرها وبرها، من السماوات، مسؤول أعطي ملكة المسؤولية، قوة المسؤولية، مدارك هذه المسؤولية، كل الخصائص اللازمة لتحمل هذه المسؤولية، والله حاضر، شاهد، رقيب عليك، ليس بغافل عنك أبداً، أحاطك على الدوام برقابته الدائمة عليك، كيف ستتصرف؟ كيف ستعمل، وأنت المخلوق

العجيب في مخلوقاته، والمخلوق الأكبر مسؤوليته في هذا العالم بما سخر لك، وفي طبيعة الاستخلاف لك، أنت خليفته في هذه الأرض، ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة الآية: ٣٠]،

كيف يغفل عنك؟! يسخّر لك ما في السماوات وما في الأرض، يعمل لك كل شيء، يخلقك بهذا الإبداع وهذا الإتقان ثم يغفل عنك ويتركك. |الا| أحاطك برقابته الدائمة.

أنت تحت رقابة صارمة من قبل الله تعالى

ولهذا نتحدث على ضوء بعض النصوص القرآنية عن هذا الموضوع، **يجب** أن تستشعر أن الله لا يغفل عنك ولا لحظة واحدة، لا في ليلٍ، ولا في نهار، ولا في أي واقع أنت فيه، ولا في أي مكان أنت فيه... أنت في كل لحظة تحت رقابته الدائمة، يراك، ويعلم بك، ويسمعك، ولا يخفى عنه شيء من شأنك، ولا يشغله شيء عن ذلك.. تدبيره لكل شؤون السماوات والأرض عمله الدائم "جَلَّ شَأْنُهُ" خلقه المتكرر وما يقوم به وهو الحي القيوم في السماوات وفي الأرض، لا يشغله أي شيء من ذلك من إدارة هذا العالم وهذا الكون بكله وبكل ما فيه، لا يشغله شأنٌ أبداً عن الرقابة الدائمة عليك؛ فهو يراك على الدوام، يعلم بك على الدوام، يسمعك دائماً وأبداً، ورقابته شاملة، ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران الآية: ٥]، لا أنت ولا غيرك

ولا في كل ما في هذا العالم، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، هو الذي كان

يعلم بك وأنت في رحم أمك، في تلك الظلمات، في ذلك المكان الخفي، فصورك هناك، كان يراك وأنت هناك، ويراك وهو يصورك، فلم تكن هناك مخفياً عليه ولا مختفياً عنه أبداً، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، يمنح كل كائن بشري الصورة التي يقرر أن

تكون صورة له؛ فيخرج إلى هذه الحياة له ملامحه، له شكله، له صورته المتميز بها عن كل الناس من حوله، وشخصيته المتميزة عن كل الناس من حوله، الذي صورك وأنت هناك مختفياً في ذلك المكان الخفي، وأعطاك الصورة التي تميزك عن غيرك من البشر، عن كل

الناس من حولك؛ هو يراك فيما بقي من حياتك، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران الآية: ٦].

رقابة الله نافذة إلى الأعماق!

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر الآية: ١٩]، **رقابة مباشرة منه**، ولا يخفى عليه حتى خيانة اللحظة التي لحظت بها بطرفك (بعينك) فنظرت بها نظرة الحرام، ونظرة الشهوة الحرام، إلى حيث لا يحل لك، هو علم بك في تلك اللحظة، يوم حِدْت بنظرك، يوم حدت بطرف عينك، لن يخفى عليه ذلك، ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾، وما أنت تخفيه في أعماق نفسك وفي داخل قلبك وصدرك، وقد خفي على الناس من حولك، قد تكون في مجلس، وقد تكون في مجمع، وقد تكون حاضراً لدى الآخرين وكلهم يراك، سيعلمون ما تقول عندما تنطق ويسمعونك، وسيدركون تصرفاتك إذا شاهدوها بأم أعينهم، لكن قد تخفي في نفسك، وفي صدرك، وفي أعماق قلبك أشياء أخرى، كلٌ منهم لا يدي ما وراء هذا القفص الصدري بعظمه ولحمه وجلده وما عليه يغطي على الناس كل شيء، لكن الله رقيبٌ عليك في ذلك، ينفذ بعلمه ورؤيته وإدراكه "جَلَّ شَأْنُهُ" إلى أعماق نفسك وخفايا نفسك؛ فهو واضحٌ أمام الله، وليس خفياً عنه أبداً.

يقول "جَلَّ شَأْنُهُ": ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ ونعلم ما توسوس به نفسك، في اللحظات التي أنت توسوس، ونفسك فيها توسوس، وتختلج في نفسك الإهمامةُ بعمل السوء، والتوجه والرغبة والميل نحو ما هو معصية لله **"سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"** في تلك اللحظات التي لازالت فيها الإرادة تتحرك في أعماق نفسك نحو العمل، الله يعلم بك، قبل أن تعمل، وقبل أن تقول، قبل أن تتكلم، وقبل أن تتصرف هو يعلم، يعلم ما يدور بخَلَدِك، ماتهم به في نفسك، ما

توسوس به وتفكر فيه ويعتمل في داخل نفسك لتفعله قبل أن تفعله، فاحسب حساب الله في تلك اللحظات.

إذا أنت لوحدك، أو أنتِ أختي المؤمنة لوحدِكِ، وأنت تفكر، وأنت توسوس، وفي نفسك وفي خيالك تعتمل الأفكار والوساوس والرغبات نحو فعل معين أو تصرفٍ معين، احسب (أو احسبي) حساب الله، إنه يعلم، إنه يرقب، إنه ليس غافلاً عنك في تلك اللحظة، أو في تلك الحالة.

أيضا فيما يحمله الإنسان من حقدٍ بغير حق على آخرين، أو من محبة لباطل أو مبطلين، أو فيما يخفيه- في نفسه **أيضاً**- من إرادةٍ وتوجهات سيئة، هناك عقائد سيئة قد يخفيها الإنسان، أو سوء ظن **مثلاً** قد يخفيه الإنسان ويتشبث به الإنسان ويعتمد عليه الإنسان تجاه الآخرين، هناك أعمال نفسية، أعمال قلبية، مستودعها خفايا النفس، وأعماق القلب، وفي داخل الوجدان والمشاعر، لا يراها الناس ولا يدركها الناس. قد تمر بإنسان وقلبك ممتلئ حقداً عليه، قد تظهر له بشاشة الوجه، وتخفي في نفسك الحقد الشديد عليه، وقد يكون حقداً بغير حق وبدون مسوغ حق، لكن الله يعلم ما في قلبك من الحقد، وما قد ينتج عن ذلك الحقد من تصرفات... وهكذا أشياء قلبية، أشياء نفسية هي مخفية عن الناس، لها تأثيرٌ في واقعك العملي، وفي تصرفاتك، وفي أعمالك، وفي أقوالك، لكن الله يعلمها.

﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق الآية: ١٦] الله أقرب إليك

حتى من حبل الوريد الذي في عنقك، هو قريب منك لدرجة أنه مطلعٌ بشكل مباشر على الخفايا في نفسك، وعلى ما توسوس به وما يدور به التفكير في نفسك من الداخل، فاحسب حساب الله ولا تظن أنه غافل عنك، هو يقول "جَلَّ شَأْنُهُ": ﴿وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا

عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس الآية: ٦١]، على المستوى الفردي على المستوى الشخصي

الله دائم الرقابة عليك دائم الشهود والحضور عليك ولك، وفيما تعمل، وفيما تفكر، وفيما

تتصرف... **وكذلك** على المستوى الجماعي، ما تعمله أنت لوحدك، وما تعمله مع الآخرين، وما يعمله الجميع، الله شاهد على ذلك، غير غافل وغير غائب. |الا| ليس غافلاً وليس غائباً، ﴿وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾، أي عملٍ، مهما كان هذا العمل قليلاً أو كثيراً، كبيراً أم صغيراً، وفي أي ظرف، وفي أي مكان، وفي أي واقع، ولو كان مستوراً، ولو كان داخل غرف مغلقة، ولو كان في قصور، أو في وديان، أو في أي مكان، ﴿إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾؛ فالله حاضر على الدوام، لا يغيب أبداً، لا يغيب نهائياً ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾.

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ﴾ لا يغيب عنه أبداً، ولا حتى مثقال الذرة، هو شاهدٌ على كل مخلوقاته على الدوام، هي واضحة أمامه في كل جزئية منها على المستوى العام، وفي كل الجزئيات والتفاصيل، شهوده شهودٌ دائمٌ، وعلمه دائمٌ، وهو يراها ويسمعها دائماً، لا ليلٌ ولا ظلمةٌ تستر منه، ولا جدرانٌ ولا حائطٌ يخفي عنه، ولا أي شيء، ولا هناك قدرات، ولا يمكن تمويه [تعمل لك تمويهاً عن الباري **"سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"**]، لا، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس الآية: ٦١]، **أيضاً** كلهُ موثق، وعلمٌ ثابت، ليس علماً عارضاً إلى سنة كذا كذا ثم نسي. لا، علم ثابتٌ لا يفقد، لا يغيب، لا ينسى أبداً.

وازع الحياء من الله

أولاً: هذا الإجراء: الله أحاطك- كإنسانٍ- برقابةٍ مباشرةٍ منهُ، منهُ "جَلَّ شَأْنُهُ" وهنا ما أحوجنا كمسلمين أن نرسخ في أنفسنا أولاً الحياء من الله (الحياء من الله)، **لاحظوا** يا إخوة، **ولاحظن** يا أخوات، **مثلاً**: الإنسان في قيمته المعنوية قد يتحرج من الناس بحسب اعتبارات معينة، **مثلاً**: إذا هناك إنسان مهم عندك، إنسان تحترمه، إنسان تُجله لمقامه، لكماله، أو لقيمته المعنوية: لهُ شأن،

لهُ اعتبار... قد تستحي منه، قد تكون أكثر حرجاً من أن يطلع على بعض تصرفاتك السيئة، أو تصرفاتك المُسِفَّة التي تفقدك قيمتك واحترامك واعتبارك، قد تستحي من ذلك الشخص، أو من جهة معينة أو طرف معين، لأهميته وقيمته وكماله ومدى احترامك لهُ [كلما كنت تحترمهُ أكثر كل ما استحييت أن يتعرف على خفاياك، أو تصرفاتك السيئة أكثر].

أيضاً بحسب المخاوف، الإنسان- **مثلاً**- قد يخاف من أن يطلع من يمكن أن يعاقبه على ذلك التصرف؛ لأنهُ **مثلاً** يعلم أنه إن اطلع عاقَبَهُ ويقدر على أن يعاقبهُ على ذلك، فقد يكون هذا دافعاً لهُ إلى أن ينتبه لتصرفه.

نحن بحساب الحياء من ربنا العظيم الله، ملك السماوات والأرض بكماله وجلاله وعظمته، كماله العظيم، إذا أنت قد تستحي من شخصية معينه؛ **لأنهُ مثلاً**: شخصية علمية باعتباره عالماً كبيراً، أما هذا فهُو الله العليم بكل شيء، من لا يمكن أن تدخل في أي مقارنات في الحديث عن علمه المحيط بكل شيء، أيُّ علم لدى الآخرين لا يساوي شيئاً بالنسبة لعلم الله تعالى، وهكذا في قدرته، في ملكه، في كل ما يعبر عن الكمال والجلال والعظمة والأهمية والاعتبار المعنوي؛ لا يمكن أن يقارَن أحد بالله "جَلَّ شَأْنُهُ". ألا نستحي منه؟ ألا نخجل منه؟ وهو المطلع والرقيب علينا في كل ما نعمل، وفي كل تصرف، وفي كل اللحظات، وفي كل الأوقات، وفي كل الأماكن...

وازع الخجل من المنعم المتفضل

بحساب نعمه ورعايته: هو المنعم علينا في كل النعم من لحظة خلقنا ومن قبل ما يخلقنا، نعمه كانت قائمة في هذا الوجود الذي هيأه لك قبل أن يأتي بك إليه، أنعم عليك حتى قبل الوجود بما هيأ لك في هذا الوجود، وهيأ الشيء العظيم، وأنعم النعم العظيمة الكبيرة الشاملة، هذا المنعم: الكريم، الرحيم، العظيم، الذي وهبك الحياة، الذي كل النعم منه: كل ما بك من نعمة، وكل ما وصلك في هذا العالم من خير، وكل ما يصل إليك في كل لحظة إنما هو منه، ولو حتى وصل عبر آخرين إنما هو منه ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ﴾ [النحل الآية:٥٣] ثم هو هو، الذي أنت دائما كلما نابتك شدة، وكلما طالك كرب، وكلما تعرضت لأخطار، وكلما

ضغطت عليك ضغوط هذه الحياة ومحنها وأوجاعها، هو وحده الذي ترى فيه الملاذ: الذي تلوذ به، الذي تلتجئ إليه، الذي تضرع إليه ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ كل ما أنت متقلب به في هذه الحياة من نعم، من واقعك الشخصي إلى كل ما في هذا الوجود، حتى من الشمس، وحتى النجوم والقمر، وحتى من خيرات الأرض، مما في السماوات ومما في الأرض، وحتى ما تنعم به شخصيا، كل الخير الواصل في هذا العالم إليك، وما في جسدك من سمع وبصر ونعم، كل هذا الخير هو منه ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾.

ثم كذلك عند المحن، عند الآلام، عند الأوجاع، عند التحديات، عند الأخطار، عند الهموم، إلى من تلجأ؟ إليه [يا الله]، إذا أنت مرضت وأحسست بالأوجاع التي تهدد حياتك تضرع إليه، إذا ضغطك الفقر والعناء في هذه الحياة تضرع إليه، إذا انتابتك المخاوف والتهديدات تضرع إليه، تلجأ إليه، لماذا تسيء إليه؟ لماذا لا تستحي منه؟ لماذا تتجرأ على معصيته، أو على التجاهل له؟ قد تفكر بالآخرين، قد تحسب للآخرين ألف حساب، وتحرص على أن لا يطلعوا منك على كثير من التصرفات، ومَن هم؟! من هم هؤلاء الذين أنت تتحرج، وتنتبه، حتى لا يعرفوا ما عملت أو تصرفت أو أخطأت أو تجاوزت، تبالغ في التحرج منهم وفي التخفي فيما قد تتجاوز به أو تسيء به عنهم ومنهم، ثم لا تحسب حساب الله، ثم تستهتر بالله، ثم لا تبالي بالله، وأنت ذلك المخلوق السخيف الذي بالى بالآخرين وحسب حساب الآخرين، إلاّ الله لم تحسب حسابه، ما أسوأك! ما أحقرك! ما أسوأ تنكرك لنعمه، لكماله، لعظمته، لرعايته!

وستأتي إذا انتابتك الأوجاع، وكأنك لم تسئ إليه أبدا، حتى بدون استذكار لما قد أسأت به في الماضي إليه، تأتي وكأنك ذلك الذي لم يسئ قط؛ فتقول: يا الله اعمل لي كذا وافعل لي كذا، يا الله اشفني، يا الله ارزقني، يا الله أعني، يا الله ادفع عني، يا الله مُنّ عليَ، يا الله هب لي... وقد تغضب قد تستاء؛ لأنه لم يعجل لك بالاستجابة، وكأنك ذلك الذي لم يسئ قط إلى الله، وليس

كأنك ذلك: قليل الحياء، كثير التجاهل لله، كثير الغفلة عن الله، كثير اللامبالاة، أو تكاد أن تكون دائم اللامبالاة بحق الله **"سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"**. فلنحسب حساب الله، هذا الذي يفرضه علينا إيماننا أن نحسب حسابه، حساب الحياء منه، الحياء منه في كماله وعظمته وجلاله، والحياء منه كمنعم كريم، كل الخير وصل إلينا منه، وكل ما بنا من نعمة فمنه، وإليه نلجأ وإليه نعود وإليه نضرع عند كل النوائب والشدائد وعند كل الكروب والمحن وفي كل الاحتياجات، احتياجاتك منه، واحسب حساب هذه المسألة، كل احتياجاتك منه: حياتك بيده، موتك بيده، رزقك بيده، مصيرك إليه، هو الذي يكتب لك ويقدر لك ما شاء وأراد في هذه الحياة، أنت تتقلب في هذا الوجود في قبضته وتحت سيطرته وتحت سلطانه، لماذا لا تحسب هذا الحساب؟ كيف تغفل عن هذه المسألة مع كل ما لها من الأهمية والاعتبار!

وازع استشعار رقابة الملائكة

ثم مع ذلك، مع رقابته المباشرة والدائمة التي تنفذ إلى واقعك بكله وإلى خفايا نفسك وإلى داخل صدرك، أَرْفَقَ إجراءات كثيرة رقابية، رقابة ملائكته أيضا، وهذه من الأشياء التي ينساها الكثير من الناس نسياناً تاماً نسياناً تاماً، ويغفلون عنها غفلة عجيبة. ما من إنسان منا في هذه الحياة إلا وقد أوكل الله "جَلَّ شَأْنُهُ" به ملائكةً من ملائكته، يبقون معه على الدوام، ويراقبون كل تصرفاته على الدوام؛ ليكونوا **أيضاً** هم شهوداً عليه، وليوثقوا: عملية توثيقية لكل تصرفاته، لكل أعماله، لكل أقواله، كلها موثقة (إجراءات توثيقية)، كل إنسان منا محاط، ليس فقط ذلك الذي يظهر أمام الميكرفونات ليقيم **مثلاً** مؤتمراً صحفياً، فالكل يوثق، هناك عدد كبير من الكاميرات التي تصوره، والميكرفونات التي تنقل صوته؛ ليوثقوا موقفه الذي سيعلنه أمام العالم. |إ|، كل إنسان هو في مؤتمر صحفي منعقد على طول، على طول (طول حياته)، منذ بداية التكليف والمسؤولية، منذ أن تدخل مرحلة التكليف، أصبحت في حالة رصد دائم، أحاطك الله بملائكة موكلين بك، مهمتهم الدائمة- طول وجودك، وما دمت في موقع المسؤولية- توثيق كل تصرفاتك وأعمالك، يقول الله **"سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"**: ﴿**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ**﴾ [ق الآية:١٧] أنا الآن أتحدث معكم، عن يميني وعن

شمالي ملكان موكلان بي، كل منهما- حتى في هذه اللحظة- يؤدي دوره في توثيق ما أقول، كلٌ منا، أين ما كان، في أي مكان، وفي أي لحظة، وفي أي ظرف هو ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ ملازم على طول، لا يفارقك نهائياً، ولا يغيب عنك لحظة، ومهمته هي هذه: مهمة التوثيق الدقيق، والرصد الشديد.

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾، تخيل؛ إلى هذه الدرجة، ما تتكلم من كلمة واحدة، ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق الآية:١٨] هذه الرقابة دائمة على كل لفظ تقوله وتتلفظ به وتنطق به، ما هناك غفلة عنك، بحيث تتصور أنه يمكن أنهم غفلوا عنك يوماً من الأيام، أو لحظة من اللحظات، أو أمام كلمة أو جملة من الكلام قلتها فلم ينتبهوا لها بخصوص تلك الكلمة، لا، ولا يحتاجون منك إلى أن تعيد الكلمة، أو أن يستفسروا منك [ها يا أخي لم ننتبه، عفوا، ما هي الكلمة التي كنت قلتها؟ أعد من فضلك الجملة لنسجلها] |الا|، لا يفوت شيء أبداً ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أنت مرصود لهذه الدرجة، وأنت محاط بهذه الرقابة الشديدة والمستمرة التي لا تنفك عنك، على طول على طول.

يقول الله "جَلَّ شَأْنُهُ": ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار الآية:١٠-١٢] عليكم حافظين: حفظة، يحفظونكم ويحفظون ما تعملونه، يوثقونه عليكم (عملية توثيقية)، وليس فقط استذكاراً يستذكرونه، فما حفظوه حفظ وما غفلوا عنه نسي. |الا|، عملية توثيقية يقومون بها ﴿كَاتِبِينَ﴾ و ﴿كِرَاماً﴾ لا يمكن أن يزايدوا عليك، ولا يمكن أن ينقصوا من عملك الصالح شيئاً ولا أن يزيدوا في عملك السيئ شيئاً. |الا|، يتعاملون بكل مسؤولية، وليس عندهم أي اعتبارات يمكن أن تؤثر عليهم تأثيراً سيئاً في عملهم، عمل بكل

أمانة، وبكل مسؤولية، وبكل اهتمام، ولا يمكن أن يغفلوا لأي اعتبار من الاعتبارات [أنه أكل وجبة دسمة وبخَّر وغفل ورقد، لم يعد يعرف ماذا عملت] |الا| [والا شغله النوم عنك، ولا أي اعتبار من الاعتبارات الأخرى]، كل منهم يؤدي الفترة التي عليه أن يؤديها بكل يقظة، وبكل انتباه، وبكل إدراك ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، يعلمون ما تفعلون، لا يغيب عنهم شيء، ولا يغفلون عن شيء؛ فيؤدون مهمتهم على أتم ما يكون، وتوثيقاً تاماً، شاملاً، محيطاً، كاملاً، لم ينقص منه قولٌ واحد ولا تصرفٌ واحد، إحاطة، تجميع: يجمعون كل عملك، كل تصرفاتك، كل أقوالك، كلها تجمع، ويوم القيامة، يقول الله: ﴿وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق الآية:٢١] شهادة **أيضا**: يؤدون شهادتهم عليك، وتأتي هذه الرقابة وهذا الرصد من الله ومن ملائكته، رقابة شاملة على المستوى الشخصي، على المستوى الجماعي، على مستوى ما تعمل وعلى مستوى ما تقول.

الوازع الأهم: استشعار معية الله تعالى

أيضاً مما ذكره الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" عن رقابته هو "جَلَّ شَأْنُهُ" قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [المجادلة الآية:٧] علم شامل، علم محيط، كل ما في الأرض، وكل ما يحدث على الأرض، وكل ما يجري على الأرض، تحت علمه، وضمن علمه، أحاط به علما، **كذلك** ما في السماوات بكلها ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الجلسات والاجتماعات، كلها هو حاضرٌ فيها، والكثير لا يحسبون حسابه، يطمئنون أنهم أصبحوا لوحدهم؛ فيتحدثون بما يرغبون بالحديث به، وأنهم إما في مجلس مغلق أو في مكان منعزل أو في ظروف خارج إطار الرقابة من الآخرين والمعرفة من الآخرين، أو اللقاءات الإلكترونية في هذا الزمن عبر مواقع التواصل الاجتماعي، التراسل

بالجوالات والتناجي بها، أو أي وسيلة من الوسائل المتاحة للبشرية من وسائل المناجاة، والتواصل السري، والتخابر الذي هو خارج إطار الآخرين وإدراك الآخرين هناك من هو حاضر في هذه المسألة بكلها، سواءً أنتم في جلسة مغلقة، في داخل غرفة، في داخل مجلس، أو من خلال مواقع التواصل الاجتماعي: جلسة إلكترونية، جلسة في مواقع التواصل الاجتماعي، أو في الجوالات والرسائل، أو أي وسيلة، أو الواتس آب، أو أي وسيلة من الوسائل... هناك من هو شاهد على هذا بكله، احسبوا حسابه، حاضر في كل ذلك، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَٰلِكَ﴾ أنتم اثنان، أو رجل وامرأة، شاب وشابة، أو شابان، أو امرأتان، أو أي كان... أدنى من ذلك أو أكثر، أي عدد كان ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ أين ما كانوا: في أي مدينة، في أي قرية، في أي بلد، ومن أي مكان إلى أي مكان، ليس معناه أنك إذا قمت تتواصل عبر وسيلة التواصل الاجتماعي إلى مكان بعيد أنه أدركك لكن لم يدرك الذي هناك. |الا|، يعلم بالجميع، أين ما كانوا، وفي أي ظرفٍ كانوا، ولا تنتهي المسألة عند هذا الاعتبار، عَلِم، وحسب، ووثَّق، وأثبت عليكم ذلك بشهوده، وملائكته، والتوثيق وانتهت المسألة. |الا|، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ هنا الخطورة في المسألة، أن كل هذه الإجراءات الرقابية، بدءاً من الرقابة المباشرة لله **"سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"**: التي تصل إلى ما توسوس به نفسك وتختزنه في صدرك وفي أعماق قلبك ومشاعرك، إلى الملائكة، الذين يرقبونك ويرصدونك على الدوام وخُصصوا لذلك، كل إنسان معه ملائكة مخصصين معه، إلى العملية التوثيقية التي توثَّق بها كل تصرفاتك، وهذه إجراءات مؤكدة، ﴿كَاتِبِينَ﴾ يؤكدها تأكيداً، كل هذه الإجراءات لماذا لماذا؟ لأنك يوم القيامة ستأتي، وستبعث من جديد، ثم ستُسأل وتحاسَب على كل ما قد أحصي عليك، جمعوا لك كل تلك التصرفات، كل تلك الأعمال، كل تلك الأقوال، وثقت، جُهِّز لك ملف

كامل، يوم القيامة ستأتي إلى مقام الحساب ستحاسب، ثم يحدد مصيرك على ضوء ذلك، وستجازى بناء على ذلك، فاحسب حساب نفسك من الآن، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وازع استشعار التوثيق صوتاً وصورة!

نأتي إلى العملية التوثيقية هذه: العملية التوثيقية هذه كل إنسان يجهز له ملف، سواءً عبرنا عنه: كتاباً، مثل ما في آيات أخرى كثيرة، أو صحيفة ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير الآية:١٠] هذا الكتاب وهذا الملف بالتأكيد أنه: وثقت فيه كل أعمالك وتصرفاتك وبشكل دقيق وتام وعملية توثيقية قد تكون أشبه ما تكون بعملية التوثيق بالفيديو (الصوت والصورة)، هناك من الآيات ما يدل على ذلك، الله **"سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"** قال في سورة النجم: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى﴾ [النجم الآية:٣٩-٤١] سوف يرى: **يعني** يوم القيامة ما تحتاج المسألة أنك تقرأ العبارات [وفعل يوم كذا كذا وكذا، وتصرف كذا، وفي لحظة كذا واتجه إلى كذا...] وكلام طويل عريض... قد ترى نفسك بالصوت والصورة، تشاهد نفسك وأنت تعمل ذلك العمل المخزي الذي حرصت على أن يكون في جو مكتوم ومستور، وقد تفضح بذلك أمام الملأ وأمام الناس، أمام مشهد البشرية بكلها من: أنبياء، ومرسلين، وصديقين، وصالحين، وطالحين، ومؤمنين، وكافرين، وأمام الجميع... ما الذي عملت، وتخزى على نفسك.

حينما تستلم نتيجة الامتحان!

يأتي الإنسان يوم القيامة، ومن أهم محطات يوم القيامة ومشاهد يوم القيامة: هي اللحظة التي سيستلم الإنسان فيها ملفه، كتابه الذي وثقت فيه كل أعماله، قال الله **"سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"** في كتابه

الكريم عن يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة الآية:١٨] فلا أحد آنذاك يستطيع أن يختفي، مع كثرة الجمع، ولا يمكن أن يُخْفِيَ- **أيضاً**- شيئاً مما قد عمل.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ﴾ [الحاقة الآية:١٩] عند عملية توزيع الكتب والصحف والملفات هذه، الإنسان إما أن يتناول هذا الكتاب ويعطى هذا الكتاب بيمينه، يعطيَهُ الملائكة: تفضل استلم بيمينك، ويمد يمينه ليستلم هذا الملف، وإما أن يعطى هذا الكتاب بشماله ومن وراء ظهره **أيضاً**: إما أن يأتي من يتولى هذه المهمة يوم القيامة من ملائكة الله ليعطيك كتابك وصحيفة عملك من أمامك، يأتي إليك ويقبل عليك من أمامك، فيعطيك وتتناوله باليمين، وإما أن يأتي إليك من خلفك (من وراء ظهرك)، وتتناوله بيدك الشمال... فعندما يأتيك هذا الموكل من الملائكة من أمامك ويعطيك كتابك بيمينك فتلك علامة إيجابية، جعلها الله علامة إيجابية: علامة اليُمن، علامة الخير، علامة الفوز، علامة البركة؛ **لأن** لك من العمل ما يشرفك، تلقى الله أبيض الوجه، وعندك من الأعمال المشرفة، والمقبولة، والصالحة، فيقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ﴾ تبتهج وترتاح، لقد تضمن هذا الملف: الأعمال الصالحة، الأعمال المشرفة، الأعمال التي ابتهجت بها، أدركت قيمتها، رأيت ثمرتها، أعمالاً ليس فيها ما يخزيك ويشينك. لا، فابتهجت وارتحت وسعدت واستبشرت، وذهبت إلى الآخرين في ساحة الحشر من الزملاء، من الأصحاب، من الناس ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ﴾ هاؤم: تساوي عبارة هالكم، تفضلوا، شوفوا كتابي، اطلعوا عليه، ما فيه من أعمال صالحة تبيض وجهي، أنا اليوم مبتهج بكل تلك الأعمال التي عملتها وفعلتها وقلتها وتصرفت بها، وهذا كله لماذا؟ كيف توفقتُ لهذه الأعمال؟ كيف كان كتابي يحوي هذه الأعمال: الشريفة، العظيمة، المشرفة؟ ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ﴾ [الحاقة الآية:٢٠] لأني في الدنيا حسبت حساب: أنني سأحاسب على كل ما عملت، ولأني حسبت هذا

الحساب؛ كنت مسؤولاً في تصرفاتي، ومنتبها؛ فحرصت على أن أعمل الأعمال الصالحة والمسؤولة، وأن أتوب وأنيب وأقلع عن الأعمال السيئة ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة الآية:٢١-٢٣] فاز، وكان مصيره ومآبه إلى هذا المآب ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة الآية:٢٤].

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة الآية:٢٥]، ومن وراء ظهره، في آية أخرى **كذلك**: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ﴾ [الانشقاق الآية:١٠] هذا كيف سيكون موقفه؟ يَستاء، رآى كثيراً من الأعمال والمواقف السيئة، والحماقات، والتصرفات الغبية، واللامسؤولة، والمدنِّسة، التي انجر إليها بهوى نفسه، وطمع نفسه، ورغبات نفسه، وشهوات نفسه، وغضبه، وطيشه، وتعامله اللامسؤول، كيف سيقول، كيف سيتصرف؟ سيصيح قائلاً: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة الآية:٢٥-٢٧] يصيح، يندم، يشعر بالهلاك، قال في آية أخرى: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً﴾ [الانشقاق الآية:١١] يصيح: واهلاكاه، اليوم هلاكي، اليوم ورطتي، أعمال سيئة، ليتني لم أطّلع عليها، ليتني لم أقرأها ولم أدرِ بها ولم أعرف بها، وأشياء كثيرة قد نسي الكثير منها؛ لأنه كان مستهتراً ولامبالياً، ولا يهتم بأعماله وتصرفاته: ينسى الكثير، ويغفل عن الكثير، ولا ينتبه للكثير، ولا يُسائل نفسه في الدنيا ويحاسب نفسه؛ ليخلّص نفسه هنا؛ فيتوب، وينيب، ويقلع. |الا| لقد ورط نفسه.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف الآية:٤٩] يصيحون من هذه المسألة، يصيحون من الدقة العجيبة والإحاطة الكاملة بكل ما قد عملوا، يصيح الإنسان، ويستغرب حين يرى أشياء كان يتهاون بها، كان لا يحسب حسابها، كان يعتبرها أشياء عادية، أو لا يبالي بالآخرين، يعملها بكل جرأة، وإذا بها قد حسبت، وسيحاسب عليها، ويجازى عليها ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [الزلزلة الآية:٧-٨] مسألة مهمة.

أعضاؤك أجهزة رصد دقيقة!

مع هذه العملية التوثيقية، مع شهادة الملائكة، مع شهادة الشهود من البشر، هناك عملية توثيقية عجيبة أخرى: الإنسان، أعضاؤه، جوارحه، ستشهد عليه، وفيها كأن الله "جَلَّ شَأْنُهُ" ضمن خلقها جعل فيها وسيلة توثيقية، (آلية معينة للتوثيق)، فأنت في الوقت الذي تعمل ما تعمل، يتوثق من حينه ما تعمل، **مثلاً**: بصرك، ألا نرى اليوم الكاميرات: الكاميرات يمكن أن تنظر منها فترى، في الوقت الذي هي فيه آلة رؤية، يمكن أن تعمل فيها تسجيلاً، أن تجعلها في حالة تسجيل، قد تكون أبصارنا هذه: في الوقت الذي نرى بها هناك **أيضاً** عملية تسجيل لما نراه، عملية تسجيل لرؤيتنا، لإدراكنا، لما نراه وندركه، وما ننظر فيه، سمْعُنا **كذلك**: عملية سمع وعملية تسجيل، بقية جوارحنا وأعضائنا فيها عملية توثيق.

الله "جَلَّ شَأْنُهُ" بعد الحساب، عبر الصحف، وعبر الملائكة، وعبر الشهود من البشر، يبقى الإنسان يجادل؛ لأن المسألة خطيرة **جدًّا**، أمامه جهنم، أمامه الخسارة الأبدية والرهيبة والعذاب الشديد، وخائف **جدًّا**، خوف ورعب شديد، ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ [غافر

الآية:١٨]من شدة خوفهم تطلع قلوبهم إلى الحناجر، يصل قلبك إلى حنجرتك من شدة الخوف، إذا الإنسان غير موفق- والعياذ بالله- خوف؛ فيبقى يجادل، ويتشبث بجداله وإنكاره وجحوده ومكابرته، حتى مرحلة معينة، تبدأ أعضاؤك بالشهادة عليك، فتشهد أنت على نفسك، فلا يمكنك حينها المكابرة ولا الجدال.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ [يس الآية:٦٥] أنت مع ذلك الجدال، والمناكرة، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل الآية:١١١] بعدها يختم على فمك، وتمنع من الكلام ولا تستطيع النطق [اسكت، اسمع، هناك شهود عليك] [من؟ من هذه المرة؟] ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾ تبدأ يداك بالتكلم وتؤدي شهادتها عليك، قد تقول: [أنا ما عملت كذا، ولم أفعل كذا، ووالله لم ألمس كذا، ولم أقرب كذا، ولم أفعل كذا...]، فتشهد عليك يداك بما عملت بهما وتصرفت بهما من تصرف، وأصابعك، وكل ما حصل من تصرفات عبر هذه الجوارح، ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ ثم الرجلان تشهدان، كلٌ منهما تؤدي شهادتها بما عملت بها، ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

يقول الله تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾ [فصلت الآية: ١٩-٢٠] حتى الجلد ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت الآية: ٢٠] ويندهش الإنسان، يندهش باتت جوارحه تشهد عليه، ورأى الشواهد والأدلة من نفسه على نفسه، ومن جسده على نفسه، ومن جوارحه بما عملت، يحتار، يندهش، يصاب بالذهول، يستغرب، بل يدخل في خصام مع نفسه ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ﴾ [فصلت الآية:٢١] قالوا

لجلودهم: يتخاصم مع جلده، تصل إلى هذه الدرجة، ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ كيف يا جلدي شهدتَ علي؟ ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت الآية:٢١] يجيبك جلدك، تجيبهم جلودهم، ﴿قَالُوا﴾ الجلود نطقت، وأجابت، وردت عليهم، وخاصمتهم، ﴿قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ هو الذي يمنح كل شيء القدرة على النطق، فينطق حين منحه القدرة على أن ينطق ﴿قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ هو الذي خلقكم وأنطقكم، أنطقنا نفس الشيء، مثل ما منحكم القدرة على النطق، منحنا- كجلود- القدرة على النطق ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أمور ما كان الإنسان يحسب حسابها، لا يحسب حساب أن يشهد عليه سمعه، ولا أن يشهد عليه بصره، ولا أن يشهد عليه جلده، ويخاصمه جلده ويثبت عليه الإدانات جلده، ما كان يحسب حساب هذه الأمور؛ لأنه لم يكن يحسب حساب ما هو أهم منها، والذي هو رقابة الله، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ [فصلت الآية:٢٢] ما كنت تستتر من سمعك كي لا يشهد عليك، وأين ستستتر من سمعك؟ ﴿وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ ما كنت تستتر من جلدك، فتتركه هناك، وتختفي عنه هناك، لتفعل ما تريد أن تفعل، وهل سيمكن ذلك؟ لكن هناك ما هو أقرب من ذلك، وأشد رقابة من ذلك:

﴿وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت الآية:٢٢] هذه الآفة: الغفلة عن رقابة الله، اللامبالاة بالله، التجاهل لله، النسيان لله، ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ [فصلت الآية:٢٣]

أهلككم، وصلتم إلى الهلاك، في الحياة لم تعودوا مبالين، بل مستهترين، ما رغب به وعنده قدرة أن يعمله عَمِله، ما رغب به من تصرف وامتلك القدرة عليه فَعَله، لا يبالي، لا يستحي، لا يحسب حساب الله، وإذا حسب حسابات معينة، حاول أن يتداركها، وأن يعمل احتياطاته تجاهها ويكتفي بذلك، ثم لا يحسب حساب الله، ﴿أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ﴾ الخسران الرهيب.

المصير المحتوم.. والخسارة الكبرى!!

﴿فَإِن يَصْبِرُوا﴾ وصلوا إلى جهنم ليحترقوا في نار الله أبد الأبد، لو كانت المسألة أنك ستدخل في فرن، فرن فقط لإنضاج الخبز لكانت كارثة، فما بالك بجهنم بكلها؟! ﴿فَإِن يَصْبِرُوا﴾ تريد أن تصبر ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ ما هناك من قدرة على الصبر، عذابٌ شديدٌ لا قدرة على الصبر عليه، ولا ينفعك الصبر فيه ولا الصراخ **كذلك**، العذاب والألم الدائم، ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت الآية:٢٤] إذا حاولوا أن يتوبوا، وأن ينيبوا، وأن يرجعوا إلى الله، فاتت الفرصة، فرصتنا هي اليوم، اليوم فرصتنا، الإنسان بالتسويف، والغفلة، واللامبالاة، والاستهتار، والإهمال، وسُكْر الهوى، وسكر الملذات، والغفلة، والتبلد... لا ينفعه ذلك، هذه الكارثة على الإنسان.

اليوم في هذه الحياة، والآن ونحن في شهر رمضان، فرصة لأن يحاسب الإنسان نفسه، وأن يراجع حساباته، أن ينيب إلى الله، أن يرسخ في وجدانه الرقابة الإلهية، وفي إيمانه الشهود الإلهي والحضور الإلهي، إن الله رقيب عليك ويعلم بك، ثم أنت دائما محاط بهذه الرقابة: الملائكة معك أينما ذهبت وأينما اتجهت، لا يمكن أن تطردهم من حولك، ولا أن تغلق في وجوههم الأبواب وتدخل لوحدك، حاضرون معك أينما أنت، يوثقون ما تفعل، ثم هذا التوثيق المركب فيك وفي خلقك، ويوم القيامة ينطق حتى جلدك، إذن **يجب** أن نحسب حسابنا في هذه الحياة؛ لنتعامل بمسؤولية، فنحرص على العمل بمسؤولية، والتكلم بمسؤولية، والتصرف

بمسؤولية، والقيام بمسؤولياتنا في هذه الحياة، والانتباه في هذه الحياة، والحذر من الغفلة في هذه الحياة، والإنابة حين الزلل، وتدارك ما زل فيه الإنسان.

نَسْأَلُ اللَّه أن يوفِّقَنا وإيَّاكم لما فيه رضاه، وأن يغفر لنا، ويعفو عنا، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛